Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه الصورة العائلية . .

كان أبى جالسا ، وأنا واقف . . تتدلى يداىْ

لاشك أن الصورة كانت تضم العائلة كلها ، لكنه يبرز أباه الجالس فى الضوء ، ويسلط الكاميرا على يديه المدلاتين إلى جانبه وهو واقف ، ثم يغفل بقية الأفراد ويضعهم فى الظل ، أليس فيهم النساء والأطفال ، وهو جنوبى لاينبغى له أن يشير إليهم أو يسميهم ماداموا أحياء؟ على أن التساؤل الأول عن نفسه بصرى فى حقيقته ، فهاهو يرى شكلا صغيرا كان له ولم يعد يملكه ، مما يجعل تداعيات الموقف تفضى به إلى تأمل ماذا فقد من الطفل وماذا بقى له منه ، لقد فقد مثلا عذوبة الملامح ، وطيبة النظرة المترقرقة فى عينيه ، ولم يتبق له سوى اسمه ، أو بالأحرى صداه ، لأنه لو التفت إلى هذا الاسم نفسه لاندهش له وتحولت ألفته الشديدة إلى إنكار ، كما فعل لوركا عندما قال :

لكم يبدو هذا غريبا

مثل أن أسمى فيديريكو !!

لكن شاعرنا لا يسرف فى التأملات والتداعيات الميتافيزيقية . بل يلتزم بإخراج المشاهد البصرية وتحميلها مسئولية التعبير الفنى . فالصورة هى التى ينبغى أن تتكلم عنه . ومن ثم فإنه يركز عينَ الكاميرا على شج فى جبين الطفل ، كأنه ندبة التعرف فى الملحمة القديمة ، وينتقل مسترجعا فى لقطة سريعة إلى منظر الدم وهو ينزف منه عقب رفسة الفرس له ، هذا الدم الذى نزف من أبيه قبيل موته . ثم ينتقل بالصورة إلى « كادر» آخر ، إلى طريق مقبرة أخته ذات الربيعين ، ولا يلبث الطريق أن يتلاشى غائما أمام عينيه حتى يبرز وجهه مرة أخرى وهو يحدق فى الصورة لاكتشاف غربته وتذكر رفاقه الذين صاحبوه فى رحلة العمر واستحضار ملامحهم من ذاكرة الغياب الأبدى ليأتنسوا بالرفقة المفتقدة ونود أن ننتبه إلى مشهد الحوار الأخير فى مرآة هذه القصيدة ، لا لنرى ماذا يريد أن يقول المخرج فيها فحسب ، ولكن لنرقب كيفية إنتاجه لهذا القول :

ـ هل تريد قليلا من البحر ؟